كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ممثل الوفود المشاركة في الندوة

سيدي ممثل راعي الحفل

أيها العلماء الأفاضل

سيداتي وسادتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

فإنه لشرف كبير أن أنوب عن إخواني وزملائي، من علماء أمتنا العربية المشاركين في هذه الندوة العتيدة، لأقدم واجب التحية والإجلال للقطر العربي السوري، قلعة العروبة الحصينة، ولِلجلَّة من علمائنا الأفذاذ في مجمع اللغة العربية بدمشق الفيحاء، قلب العروبة النابض. فأطيب التحيات وأصدق مشاعر المودة والاحترام للذائدين عن حياض هذه الأمة في قيمها وعقيدتها وتراثها ولغتها الخالدة.

فالعربية لغة خالدة، منذ أصبحت لغة الوحي الإلهي، تحمل رسالة الهدى والعدل والمساواة لبني البشر جميعاً، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم. وهي لغة عالمية، لم تعد تخص العرب باعتبارهم أمة، بل تخص كل مسلم على وجه الأرض. فهي خالدة بخلود القرآن الكريم، وهي باقية ما بقي مسلم على

وجه الأرض. إنها لغة العروبة والإسلام على مدارج التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يحدثنا التاريخ، أيها السادة، عن أمم وإمبراطوريات، قديماً وحديثاً، استطاع ذوو القوة من الأسياد أن يفرضوا لغاتهم، بصورة وبأخرى، على الأمم المستضعفة، التي دخلت تحت الاحتلال المباشر، أو بقيت في مناطق النفوذ وأنه سرعان ما تزول هذه اللغات أو يعفى على آثارها، بزوال قوى القهر والاحتلال، وانحسار نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي.

ونحن في الوقت الحاضر، منذ نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، نعيش في أجواء صخب ما يسمى «بالعولمة»، ومنها عولمة اللغة، وهذا يعني فرض لغة من بيدهم القوى المالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على مناطق النفوذ بشعوبها المستضعفة، بل وعلى الأمم المتقدمة بصورة وبأخرى تحت أقنعة ما يسمى بالعولمة على اختلاف أشكالها وأساليبها.

وقد انصاع، مع الأسف، كثير من المسؤولين في الوطن العربي وكثير من المؤسسات التعليمية الخاصة، لهذا التيار العاتي بعولمة اللغة، فقد باتت اللغة الإنجليزية، تسود عولمة المؤسسات الاقتصادية والمالية والإعلامية ومراكز البحوث العلمية والجامعات... ويتمُّ هذا كله في إطار النواميس والقوانين التي تحكم العمران البشري، من حيث قيام الدول والإمبراطوريات وانهيارُها، ومن حيث انتشار لغات السادة وانحسارها أو تحللها للغات محلية مختلفة، أو زوالها واندثارها، بزوال قوة الدولة.

ونحن نعلم يقيناً وبالمشاهدة، هذا الانحراف اللغوي في الوطن العربي. فقد باتت اللغة الأجنبية، وأخص بالذكر اللغة الإنجليزية، تدرس منذ الصف

الأول الابتدائي وربما قبل ذلك!! خلافاً للنظريات التربوية والنفسية، وامتهاناً للغة العربية، اللغة القومية... وبلغ الأمر في كثير من الأحيان إلى تدريس العلوم والرياضيات في الصفوف الابتدائية، لا سيما في المدارس الخاصة، بلغة أجنبية... وفي الوقت نفسه تقصى العربية عن لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي، وإحلال اللغة الأجنبية، لاسيما الإنجليزية محلها في معظم الجامعات في الوطن العربي، بل وباستثناء الجامعات في القطر العربي السوري، منذ مطلع القرن العشرين، وبأخَرة القطر السوداني الشقيق.

إن اللغة العربية الفصحى، هي التي تعطي لأمتنا العربية هويتها، وإن المساس بها أو إهمالها، لهو انتقاص من ثوابت الأمة، وتقويض لأهم دعائم وحدتها ونهضتها العلمية ومشاركتها المبدعة في بناء الحضارة الإنسانية في العصر الحديث.

وقد أدركت هذه الحقيقة، دمشق العروبة والإسلام، فانبرت منذ البدايات الأولى من تاريخنا الإسلامي لتعريب دواوين الدولة، وجعل العربية لأول مرة في مسيرتها التاريخية، لغة الدولة في مختلف مؤسساتها المالية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب كونها لغة العقيدة، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وما فتئت العربية أن أصبحت لغة العلم والفكر العلمي في مختلف ميادين المعرفة في مدى قرن من الزمان.

ومرَّت السنون والقرون، والعربية الخالدة تحمل عقيدة الأمة وهويتها، بين مدٍّ وجزر. وفي أحلك الأوقات وأشدها عداوةً للعربية، كانت هذه اللغة الخالدة تتراجع إلى حصونها التي لا تقهر، في المساجد وحول حلقات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وفي أوائل القرن العشرين، عاد للتاريخ دورته، فانبرت دمشق، من خلال مجمعها العلمي العربي، لتعريب مؤسسات الدولة، وإعادة السيادة للعربية في وطنها، فأصبحت العربية منذ ذلك التاريخ لغة التدريس الجامعي، وبالتحديد في معهد الطب العربي ومعهد الحقوق.

تحية الإجلال والاعتزاز والتقدير لمجمعنا العتيد بدمشق قلب الأمة النابض، ولعلمائه الأفذاذ الذين تناوبوا في خدمة العربية، وتأصيل دورها التاريخي في وحدة أمتنا ونهضتها العلمية الأصيلة، وستبقى العربية الخالدة شامخة، عميقة الجذور، تنحسر أمامها لغة «العولمة» الحديثة، ولغات الإمبراطوريات البائدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.